داخليا وخارجيا مواجهة عاجزة عن الوفاء بوعودها التي قطعتها على نفسها قبل تسلمها السلطة سواء في الامور الداخلية او في القضايا القومية كالوحدة وتحرير فلسطين . ولذلك تحولت تلك القوى الى أداة قمع قسري للشعب تمنع عنه القسط الضروري من الحرية السياسية ، حتى انها أصبحت أحيانا تذكره بأولئك الذين ناضل ضدهم ، ولم يبق أمام المواطن العربي في ظل القهر والاضطهاد وضعف الحركة الجماهيرية الا الانسحاب من ميدان النشاط او الانعزال والاهتمام بأموره المعيشية الضيقة ، مشكلا جزيرة قائمة بنفسها ، الابعاد الجغرافية بينه وبين الاخرين معدومة بينما الابعاد النفسية شاسعة(١) وهذا هو السبب الذي جعل الاربعين مليون عربي المحيطين باسرائيل رقما (كتلة) لا دور حقيقي لهم فيما يجري حولهم من أحداث ، وموقفهم من سير الامور يتحول الى موقف لا يتعدى كونه تأمليا صرفا تجاه سير الاحداث(٢)، فهو متفرج قادر على البكاء عند الهزائم القومية ، وعلى التصفيق عند الانتصار . والنتيجة الحتمية لهذا الوضع الشعبي هو تحول المجتمع الى مجتمع اللاقدرة واللاانتماء الذي تغيب فيه قواه الفاعلة فيقف عاجزا أمام الهزيمة وتآمر الاستعمار ، وحدوث ذلك هو اكمال عوارض المرض .

ان للنضال دائما هدفا وأداة ، وغاية النضال هو حل المشاكل السياسية والقومية ببعث طاقات العطاء والكفاح عند الشعب المستعمر او شبه المستعمر . وأداته هي الشعب الواعي والمنظم والمسلح . ان حضور الشعب (الواعي والمنظم والمسلح) ، ومشاركته ككل — بكل ما في كلمة مشاركة من محتوى — في خوض النضال هو وحده الكفيل بتنمية حركة الجماهير ، وبالتالي انجاز المهام القومية الصعبة . ولكن كيف نصل الى ذلك ؟ الماء لا يعطي كهرباء الا اذا كان خلف السد . وكذلك الجماهير لا بد من وضعها في وضع تكون فيه قادرة على العطاء . وهذا لا يتأتى الا من خلال ممارسة ما يحدث في النهاية تغييرا جذريا . وفي ظروف الامة العربية ، التي تواجه يوميا خطر الوجود الاسرائيلي ، كأداة معدة لضرب أي نهوض في الحركة الوطنية العربية ، فان تركيز الانظار حول هذا الخطر ، والسعي لحله والهيمنة عليه ، باعتباره العائق « الفعلي » الذي أعدته القوى الامبريالية لتتمكن من الاستمرار في فرض نفوذها على المنطقة العربية ، يشكل القضية المصيرية ، التي يتوقف على حلها ، انجاز كثير من المهمات الجذرية التي تبدو الان بعيدة المنال ، كما يشكل القضية المصيرية القادرة على حشد أكبر طاقات جماهيرية عربية باتجاهها ، كما اثبتت ذلك الاحداث نفسها ، على مدى فترة زمنية طويلة . فاذا اضفنا الى ذلك ان تعميق النضال القطري ، هو المدخل لتوفير نضال قومي متماسك ، لان النضال القومي يبقى شعارا عائما ، وملاذا للهرب ، اذا لم يأت كنتيجة لنمو النضال القطري ، اذا أضفنا ذلك ، نجد أنفسنا أمام المبدأ الذي يشكل دعامة أساسية من الدعائم التي تقوم عليها نظرية العمل الفتحوي . والادبيات الفتحوية مليئة بتحليلات تشير وتدافع فيها بكل وضوح عن ضرورة الالتزام بالنضال القطري القائم على وحدة وطنية لجميع القوى الثورية العاملة في القطر من جهة ، والمتداخل مع طلائع النضالات القطرية الاخرى... « ان النضال لتحقيق الاهداف القومية لا يتم الا من خلال الواقع القطري ، ان ممارسة الانسان العربي لنضاله الثوري من خلال قطره الذي يعيش فيه يزيده عطاء وقدرة ونموا في الوعي(٣) .. ان على النضال القطري ان يلتزم بوعي بحدود « الاطار التحرري » بمعنى ان يحرر القطر نفسه من العوائق التي تحول بينه وبين الالتقاء مع الاقطار الاخرى لتحقيق الوحدة والعدالة

---

١ — حسب تعبير ملفيل في رواية موبى ديك .

٢ — لوكاش ، في التنظيم الثوري ، ص ٦١ ، ترجمة جورج طرابيشي .

٣ — دراسات وتجارب ثورية رقم ١ ، مقال بعنوان نضالنا القطري ، ص ٤٧ .